

لقاء قناة السومرية بالدكتور إبراهيم الجعفري
2007/9/2
(فهم الدين والولاء للعراق والإصلاح والأرضية العراقية)

المقدم: الدكتور الجعفري أبدأ معك من الوضع الشاذ الذي يسود اليوم في مدينة كربلاء.. ماذا ترون في هذا الحادث الذي أودى بحياة الأبرياء، وكيف يمكن التوصل إلى حل؟

الجعفري: أعتقد أن الذي حصل في كربلاء كان عارضاً لأسباب ربما تضرب بالعمق وهو عدم التنسيق الأمني ووجود بعض الاختراقات؛ لذلك أدت إلى أن تسقط بعض الضحايا، وبالمناسبة كان المفروض أن يتحلى الجميع بأخلاقية صاحب المناسبة، وهو رائد العدل والذي تتطلع له البشرية جمعاء، في نشر لواء العدل والمحبة والسلام في ربوع العالم.. للأسف الشديد حصلت هذه المفارقة ورسمت على هذه المناسبة صورة الحزن والألم، لكننا نأمل أن تذكي فينا، وتحرك إرادة الإصرار على رص الصف الوطني، وتوحيد القوات المسلحة العراقية، ومعالجة ظواهر الاختراق الأمني في أي محافظة من المحافظات.

المقدم: أين أصبح الدكتور الجعفري السياسي اليوم من الدكتور الجعفري الداعية في أمس؟

الجعفري: يبقى الدكتور الجعفري كما انطلق في بداية حياته داعية للإسلام بكل ما يزر به من سلم ومحبة وعدل ومساواة يواصل دوره حتى الشوط الأخير من حياته، ولا يتوقع في حالة مناطقية معينة، ولا ينكفي في حالة حزبية معينة، وإنما ينظر إلى كل المنظمات والكيانات الموجودة بأنها أدوات يمكن أن تسهم بمجملها لتحقيق الأهداف المشروعة في عراقنا الحبيب، ومن الناحية السياسية يبقى الجعفري يسبح في فضاء الدولة الذي يتسع لكل مؤسسات الدولة بما فيها مؤسسة الحكومة، ويعمل لإرساء قاعدة الدولة الأساسية التي يمتد عمرها إلى أطول من عمر الحكومة، وتمتد في تأثيراتها إلى أكبر من تأثيرات الحكومة.. أفكر في هذه الدولة من خلال إفرازات الانتخابات، والدستور، والبرلمان، والحكومات المنتخبة انتخاباً برلمانياً؛ لذلك لا ينفك الجعفري عن ممارسة مهمته مع إخواني السياسيين من مختلف الاتجاهات، وأضم صوتي إلى صوتهم، وأمد يدي إلى يدهم بغض النظر عن خلفياتهم.

المقدم: أعود معك إلى مؤتمر حزب الدعوة قبل أشهر، و ما يقال عن أن هناك انشقاقاً ربما يحصل في قيادة الحزب بينكم وبين السيد نوري المالكي.. هل هذا الموضوع جدي؟ وما حقيقة الموقف؟

الجعفري: ما حصل في مؤتمر حزب الدعوة الإسلامية هو بعض المؤاخذات على مقدمات المؤتمر من حيث التحضير، وبعض المؤاخذات في سياقات انعقاد المؤتمر، وطريقة التصويت والانتخابات؛ مما جعلني أتحفظ، ولكن ذلك لا يصدع نظرتي إلى الدعاة وأعضاء المؤتمر؛ لأن الذي يربطني بالدعوة هو تأريخها وفكرها وشهداؤها وأهدافها وطموحاتها وتحدياتها، إضافة إلى أنني أنظر إلى الدعوة على أنها أمل كما وصفها السيد الصدر؛ لذا أمل أن تجري معالجة هذه المفارقات. بالنسبة لي أفهم أن الدعوة منطلق، وليست وعاءً يحدد حركة الداعية.. كان الدعاة دائماً في الخنادق الأولى للتضحية، وليسوا في مناطق الاستنثار والاستحواذ على الأمور، بل الانطلاق والتضحية والتواجد في صفوف الشعب العراقي.

المقدم: دكتور الجعفري تغيرت ظروف إنشاء حزب الدعوة، و يبدو أنكم خلال المؤتمر توصلتم إلى رؤية.. هل هذه الرؤية تختلف عما تعودتموه في الحزب حول الديمقراطية، والفيدرالية، وعلاقة الدين بالدولة؟

الجعفري: ليس سرّاً على أحد منذ فترة وجهت خطابي على ضوء المستجدات والتطورات التي حصلت على المستوى المحلي والإقليمي والدولي، ووجهت خطابي منذ أمد بعيد، وكتبت مع إخوتي في داخل أروقة الدعوة (نظرية الدعوة في الظرف الراهن)، وأعتقد أن التحولات الأساسية تستدعي أن نعيد النظر بنظرية الدعوة، ونتحرك من الناحية الواقعية بالجانب المرن من نظرية الدعوة باعتبار أن الدعوة انتقلت من مرحلة المعارضة إلى الحكم، ومن مرحلة الخارج بكمّها الكبير إلى الداخل لتلتحم مع أبنائها وبناتها في الداخل، وانفتحت على الكثير من القضايا فمن الطبيعي والحالة هذه أن نعيد النظر معرفياً وفكرياً وآلياً وتنظيمياً بكل ما يرتبط بعملها فمراجعة الدعوة لأفكارها جزء من أفكار الدعوة؛ لنواكب الزمن إن لم نسابقه، وننظر إلى المتغيرات ونواكبها بما تتطلبه من مرونة في الفكر، وتنظيم جديد..

وما ورد في سؤال الفيدرالية أو الديمقراطية فنحن نتعامل بمصطلحات معينة لكننا لا نقع في الأسر المصطلحي، ولا نتعقّد، وننتشرق بمصطلح معيّن.. نحن ننظر إلى أي مصطلح بمقدار ما يحتوي من جانب إنساني؛ لذلك نعتقد أن هذه المصطلحات يمكن أنسنّتها وجعلها في خدمة الإنسان وإشاعة العدالة الفيدرالية على سبيل المثال في أصل اللغة الإغريقية، تعني (trust) بالإنكليزي، وتعني الثقة في اللغة العربية، معنى ذلك أن الفيدرالية تكون في الدول التي تتعدد فيها المجتمعات من أجل بث الثقة بعد أن تفقد بسبب التناحر الديموغرافي والمجتمعي فيُعمد إليها كما في أميركا إذ إنها دولة متعددة الولايات وفيها فيدرالية وقل مثل ذلك في كثير من دول العالم،

فليس لدينا عقدة من مضامين الفيدرالية، وكذا الحال بالنسبة للديمقراطية مادامت تحترم رأي الإنسان، وتحترم الغالبية، وتجعل الباب مفتوحاً أمام الطاقات والقابلات.. نحن من حيث المبدأ نعتقد أننا كنا ضحية غياب الديمقراطية سابقاً وأن الديمقراطية هي التي جاءت بنا إلى الحكم، وأعطت شعبنا حقوقه بينما الدكتاتورية هي التي عرضتنا للقتل والفتك والمقابر الجماعية.

المقدم: أعود معكم إلى فكرة الدين والدولة.. هل تؤيدون السيد جمال الدين في دعوته لفصل الدين عن الدولة؛ لتجنب المحاصصة الطائفية التي نشهدها اليوم في البلاد؟

الجعفري: لا أريد أن أناقش شخصاً أياً كان، وأحترم وجهة النظر هذه، لكن اجعليني أواجه السؤال مباشرة عن مسألة فكرة الدين والدولة، الدين عندما كان بمفهوم البعض أنه يعتبر الدولة سيفاً مسلطاً على المواطنين ويحاول أن يفرض عليهم مجموعة التزامات، ويقف أمام التطور والعلم، ويحوّل الطبقة الاجتماعية إلى الطبقة الدينية، نحن لا نتبنى هذا الفهم؛ ومن خلال القراءة التاريخية لحركة الدين وجدنا أن أصحاب هذا الفهم ارتطموا بعصر التنوير، وهزمت هذه الادّعاءات، ولا أقول هُزم الدين لكن المدعين بالدين هُزموا أمام التطورات العلمية.. مفهوم الدولة مفهوم مرّن يتسع لكل الديانات وكل المذاهب، ونحن نعتقد أن الدين قام على احترام الإنسان وتكريمه: ((ولقد كرّمنا بني آدم)).

إن الدين يبحث عن المشتركات، كما أنه يخدم الإنسانية جمعاء، من هنا نحن نعتقد أن الدولة يمكن أن تراعي كل الأديان، وتتفتح على كل الناس، وتعطيهم حقوقهم، وتراعي مصالحهم من دون أن تجعل الدين واجهة لإقصاء هذا الطرف، أو ذاك.. ومن يدقق النظر جيداً في قيم الدين والمبادئ والمفاهيم الدينية لكل ديانات السماء لا يجد تناقضاً في إقامة الدولة على أسس معرفية صحيحة، كل دول العالم اليوم من حولنا حتى التي انتهت إلى العلمانية كان مؤسسوها متدينين كما في الولايات المتحدة والهند، حتى الذين أسسوا أحزاباً وحركات في مختلف مناطق العالم كانوا يحترمون الدين، ولكن هذا لا يعني أن ندعو دعوة دينية من شأنها أن تشطر المجتمع، وتصنف الناس تصنيفاً ينتهي إلى أن الذي لا يدين بهذا الدين لا وجود له، ولا حرية له، ولا حق له.. من هنا كان الدستور العراقي أنموذجاً رائعاً في الانفتاح على كل أبناء الديانات والمذاهب، ويحترم الدين الإسلامي باعتباره دين الأغلبية، ومن يدقق النظر جيداً في تاريخنا لا يجد ثمة أزمة في التعامل بين الذي يدين بدين معيّن ومن يدين بدين آخر.

المقدم: نعم.. ولكن يبدو أن الدين اليوم دخل إلى تفاصيل الحياة السياسية، بحيث إنه لا يمكن تعيين وزير إلا إذا عدنا إلى طائفته أو إلى المجموعة الطائفية التي يمثلها.. ألا يكون هذا نوعاً ما مقيداً لعمل الدولة اليوم؟

الجعفري: الخطأ الذي حصل ليس بسبب الدين، وإنما في التدين بطريقة فهم الدين أنه عملية فيها شيء من العصبية والعنصرية والتعالي على الآخرين وإقصاء الآخرين ومحاربة الآخر واستباحة دمه وعرضه وكرامته وهذا فهم سيء للدين، وتجاوز الحد إلى درجة أنه انسحب على أبناء الدين الواحد وهو المذهبية وما ترتب عليها من إقصائية واستباحة لدم الآخر؛ فعلينا ألا نسقط الدين بسبب الفهم السيء للمتدين، كما لا نريد أن نسقط المذهبية بسبب الفهم المذهبي السيء.. نحن مع احترام الديانات والمذاهب.. أما عن مبدأ المحاصصة الذي حصل بعد سقوط النظام المقبور إلى الآن نحن نعتقد أن المحاصصة أثبتت أنها ليست قادرة على معالجة العراق وإنما يفترض أن نرتقي إلى حكومة تقوم على أساس اختيار الأكفاء المخلصين، وننتهي تلقائياً إلى التنوع؛ لأن الكفاءة ليست حكراً على دين معين، كما أنها ليست حكراً على مذهب معين، وليست حكراً على قومية معينة، فإذا اعتمدنا مبدأ الكفاءة سنجد أنفسنا تلقائياً أمام التنوع هذا على مستوى التكوين، أما على مستوى الأداء فلا بد أن يتحرر كل وزير وكل مسؤول من خلفيته، ويرتقي إلى الخلفية الوطنية العراقية، ويعتبر أن ولاءه للعراق فوق الولاءات وأن انتسابه للشعب العراقي فوق كل الانتسابات.

المقدم: دكتور الجعفري بشكل عام رأينا المواطنين لديهم فكرة إيجابية عن حكومتكم.. هل تعتبرون أن الخروج من السلطة والمقارنة مع سلطة أخرى يعطي لحكومتكم المعنى الإيجابي اليوم عند المواطنين؟

الجعفري: بعيداً عن تقييمات أبنائنا الأعزاء وما سمعته.. عندما يكون الإنسان طيباً يرى الآخرين طيبين.. الشعب العراقي شعب نافذ البصيرة، ويتناول السياسة ليس من موقع الترف، والقضايا الكمالية إنما يمارسها من موقع المكابدة والمعاناة؛ لأن في كل بيت أكثر من شهيد، ولأن الذي يصك سمعه، ويؤذيه، ويؤلمه بشكل مستمر هو الوضع السياسي ليس أكثر، فالخسائر المستمرة في العراق هي لأسباب سياسية حوّلت البلد من بلد غني إلى بلد فقير.. إلى بلد يفتقر للأمن أنا أقدر القراءات السياسية المختلفة ولطالما تعلمت من أبنائنا وبناتنا العراقيين والعراقيات..

المقدم: نلاحظ أن الحكومة لم تخرج من أيدي أعضاء حزب الدعوة فمنكم إلى السيد نوري المالكي، ولكن يبدو أن الأوضاع في البلاد ماتزال متأزمة.. كيف يمكن تقييم تجربة الحزب على الصعيد العملي في السياسة؟

الجعفري: أولاً انتماء الشخص الوزير، أو رئيس الوزراء، أو رئيس الجمهورية إلى أي حزب لا يعني انتماء الحكومة إلى ذلك الحزب، هكذا كنت أتطلع، وهكذا عملت في الوزارة.. أتشرف بأني داعية في حزب الدعوة الإسلامية، وأتشرف أنني ما كنت أتعامل مع الدولة على أساس أنها ملك للحزب، وإنما أتعامل على أساس أن الحزب في خدمة الدولة، وأن الداعية الكفوء يمكن أن يتسنى موقعاً شأناً شأن بقاء المواطنين، وقد نبّهت السادة الوزراء إلى أن من يدّعي ارتباطه بي من الناحية العائلية أو القرابة أو النسب لا أساس له على الإطلاق.. أعتقد أن طبيعة تطبيق مقاييس الكفاءة ستنتهي إلى احتضان التنوعات العراقية المختلفة بما فيها حزب الدعوة لذلك التعبير الآن بأن الحزب يحكم الدولة ليس دقيقاً، ويحتاج إلى مراجعة.. نعم الأخ رئيس الوزراء خلفيته من حزب الدعوة لكنه عندما يؤدي دوره باعتباره رئيس وزراء العراق، لا رئيس وزراء الدعوة، أو رئيس وزراء الشيعة، أو رئيس وزراء العرب.. هكذا أفهم المسؤولية.

المقدم: هل يمكن أن تقبلوا برئيس للحكومة من خارج حزب الدعوة؟

الجعفري: بالنسبة لي أتطلع إلى ذلك اليوم الذي ينتخب فيه الشعب العراقي من يعتقدون بكفاءتهم من دون محاصصة، وليكن من أي خلفية أو من أي قومية.. لا فرق عندي بين العربي والتركمان والكرد والشبكي.. هذا اليوم الذي نذرت له حياتي لكي أصل إلى الديمقراطية المباشرة كما يقف أبناء الشعب التركي لاختيار رئيس وزرائهم ورئيس جمهوريتهم مباشرة، وكما في بقية الدول.

المقدم: صدرت لك تصريحات كثيرة تقول إنك وقعت في أخطاء خلال رئاسة الحكومة.. هل يمكن أن تقول لنا ما هو الخطأ الأهم الذي وقعت فيه، وأدى إلى انتقال رئاسة الحكومة إلى السيد نوري المالكي؟

الجعفري: ابتداءً عندما أعتقد أن الذي يتحدث عن خطأ يمتلك حاستين حاسة الوعي بالخطأ الذي يقوم به، وحاسة الشجاعة بالتعبير عنه، وأود أن أتحدث عن الأخطاء وكأنها تبدو أكثر من اللازم، ولا أود أن أتحدث عن الإنجازات وكأنها تبدو أقل مما حصل..

أعتقد أن بعض الأخطاء حملتها طبيعة المحاصصة، والمفروض أن يكون هناك تمحيص أكبر، وهذه ضريبة أول التجربة، وأتصور أن مبدأ التكنوقراط يجب أن يسود في الدولة، سواء كان على مستوى المستشارين أو الوزراء وفي نفس الوقت

يجب أن يكون هناك جهاز متابعة دقيق، يتابع ورقة عمل كل وزير، ويعطيه خطة مئوية (مائة يوم)، ثم يتابع من قبل مجلس الوزراء مدى مطابقة عمله لهذه الخطة ومدى إنجازاته بشكل طبيعي وصحيح.

المقدم: تحدث الكثيرون عن أخطاء اسمح لي أن أسميها هكذا.. أهمها غض النظر عن تجاوزات وزارة الداخلية، وقيام المليشيات ونموها وتسليحها، وغضضتم النظر أيضاً عن الفساد المالي والإداري.. ماذا تقولون عن التجاوزات في وزارة الداخلية حين كنتم في رئاسة الحكومة؟

الجعفري: فرصة طيبة أن نلقي الضوء على هذا الأمر؛ لأوضح أن الصورة ليست كما جاءت في السؤال بل أخذت صفة مقلوقة، أما عن الوزارة وارتباطها بالمليشيات وما شاكل ذلك فأنا كنت من الداعين إلى أن تكون وزارة الدفاع ووزارة الداخلية غير مرتبطتين بجهة لها مليشيات بغض النظر عن الأخوين وزير الدفاع ووزير الداخلية، وكنت مُصرّاً على ضرورة أن يكون من يتصدى لوزارة الداخلية والدفاع أن لا يكون مرتبطاً بجهة لها مليشيا. وما يتعلق بتجربتي مع الأخ وزير الداخلية قدر تعلق الأمر بنا لم نكتشف أن هناك إجراءً معيناً عن عمد صدر عن وزير الداخلية، وقد فوجئت في أحد الأيام بزيارة سفير الولايات المتحدة الأميركية والسفير البريطاني وقائد قوات التحالف إلى رئاسة الوزراء، وأخبروني عن وجود شيء اسمه الجادرية، ولأول مرة أسمع بذلك، وهم جالسون أمامي فاتخذت سلسلة قرارات وكانوا ينظرون إليّ، ويسمعون كيف أقدمت على ست خطوات، ثم التفت إليهم، وقلت لهم: هل هناك إضافة؟ فقالوا: لا. قلت أي مقترح؟ قالوا: لا ليس لدينا شيء؛ ولم أكن أسمع بهذه القضية إطلاقاً، فشكّلت لجنة، وعهدت برئاستها إلى أخي الدكتور (روش) نائب رئيس الوزراء، وحددت له مدة زمنية معينة بأن يتصدى لملف الجادرية، ويذهب مباشرة إلى هناك، وينظر إلى تحسين ظروفهم، وينقلهم إلى أحسن مكان مع توافر الظروف الصحية والغذائية، ويذهب إلى كل المعتقلات المماثلة؛ لئلا تكون هناك تجربة تشبه هذه التجربة، ويتقصى الذين قصّروا في هذه الحالة ليمثلوا أمام القصاص العادل، وقبلت بذلك.

بعد أن انتهى التحقيق، حوّلنا القضية إلى السلطة القضائية للسيد الأستاذ (مدحت المحمود)، رئيس السلطة القضائية، بهذه الشفافية تعاملنا مع هذا الملف، وكذلك أثّرت قضية أخرى وهي أن هناك مدامات من الذين يرتدون ملابس الداخلية، ويدهمون المواطنين فشكّلت لجنة خاصة؛ لدراسة هذه الظاهرة، وعهدتها إلى أخي العزيز الأستاذ (عبد مطلق الجبوري)، وهو نائب رئيس الوزراء من إخواننا السنة العرب، وخوّلته بصلاحيات مفتوحة، وأضفت له عدداً من الوزراء لمساعدته، وقلت له لا تتردد بأي فعل فكل من يثبت أنه متورط بمسألة المداهمة بشكل مباشر أو غير مباشر مهما كان موقعه في الدولة يُستدعى، ويحال إلى اللجنة القضائية لاتخاذ التدابير اللازمة.

المقدمة: لابد لي أن أتوقف عند الأزمة العميقة التي تفصل حكومة الرئيس نوري المالكي عن جهات وقوى كثيرة، مثل جبهة التوافق والقائمة العراقية والتيار الصدري الذين سحبوا وزراءهم من الحكومة، كيف يمكن أن نرى هذا المشهد، وماذا نقترحون كحلول على زميلكم الدكتور نوري المالكي.

الجعفري: لم أكنم الأخ المالكي سراً أنه لابد من البت بالوزراء، وعدم ترك الفراغ الوزاري باختيار الأكفاء من الوزراء على خلفية الكفاءة والتكنوقراط خصوصاً أن القضية الآن مُهدت له، وأن هناك ستة من المواقع فارغة من قبل الإخوة الصديين، ورئيس الوزراء يتمتع بصلاحيات اختيار من يشاء، وفي نفس الوقت هناك ملفات ساخنة لابد من تفعيلها بشكل مباشر كملفات اجتثاث البعث، والمصالحة الوطنية، والجيش العراقي، ومعالجة ظواهر البطالة.

المقدمة: دكتور الملف الأهم هو ملف المعتقلين، خصوصاً أن عددهم يتجاوز الآلاف، هل تؤيدون مثلاً المطالبة بعفو عام عن المعتقلين.

الجعفري: أعتقد أن المطالبة بالعفو العام بشكله المطلق لا يرضى به حتى الذين يحاورون باسم السجناء، إنما يقع الكلام على برمجة وجدولة التحقيق السريع، وإطلاق سراح الأبرياء، والتعامل بشكل جيد، وطبيّ الصفحة السابقة، وغض النظر عن بعض الأشياء التي لم تمسّ أرواح المواطنين وتسفك دماءهم، وإشاعة ما يتردد الآن من مسألة المسامحة والمصالحة المساءلة... المهم لابد أن تكون الحكومة قوية بدرجة كافية في تطبيق القانون من جانب وتحرك في المساحة المرنة في إبداء شيء من التسامح مع الآخرين مع حفظ وحدة البلد وأمنه، وعدم التقريط بأرواح المواطنين..

المقدمة: الحديث عن مشروعكم وهو تأسيس تيار سياسي جديد يحمل اسم الإصلاح الوطني، هل هذا المشروع جدي، وإلى أين وصلت فيه؟

الجعفري: المشروع الذي نحن بصدده هو تعبير عن حاجة وفراغ موجودين في الواقع العراقي، وهو حالة تطور في الأداء السياسي، فالدول التي سبقتنا في هذا المضمار كلما قطعت شوطاً في طريق الديمقراطية احتاجت لأن تتسع وتتمظهر على شكل تيار موسع يعبر عن وجدان أكبر عدد ممكن من العراقيين، فالحالة العراقية لازالت بحاجة لوجود مناخات ومناسبات منفتحة للتداول بشؤون البلد، وبحاجة للاتساع للتنوعات العراقية، وكما قلت إن التيار بمجمله يعطينا صورة عن وجود نضج سياسي لدى المواطنين العراقيين بأنهم يريدون أن يلتقوا بخلفياتهم المتنوعة في إطار عام يتسع لهم على ما هم عليه ولا يقف عند حدود الحالة الطائفية شيعية أو سنية، ولا يقف عند حدود الحالة السياسية أو القومية.

المقدمة: اخترتم شعار الإصلاح فيما رأينا أن هناك مشاريع أخرى تختار مثلاً أو تصل إلى شعارات لها ذات طابع اعتدال، هل بات الإصلاح اليوم غير معتدل؟

الجعفري: حتى الآن لم يُحسم عنوان التيار بعد، وأتمنى أن تبقى كلمة الإصلاح فيه؛ لأننا بحاجة ماسة إليه فهو حالة تجعل الإنسان في الطريق الصحيح، وتجعله نافعاً وخيراً ومعتطاً كما أنه مقابل الفساد؛ فلا بد أن ننحى منحى إصلاحياً على المستويات الإدارية والمالية والسياسية، وكلمة إصلاح هي ذاتها تضيي عملاً معتدلاً وبناءً وتتسع لكل مجالات المجتمع العراقي.

المقدمة: هل يمكن أن تكشفوا لنا من يؤيدكم من القوى الداخلة في هذا المشروع؟

الجعفري: هناك مذاقات مختلفة منذ زمن بعيد منهم من بادر، وكان يلح عليّ بين فترة وأخرى، ومنهم عندما وصلتته الفكرة استجاب متفضلاً، ومنهم من كتب، ونظر في هذا المجال وحتى هذا اليوم أستقبل بشكل مستمر وفوداً وشخصيات متنوعة تريد أن تتعامل في هذا المجال لكنني بمقدار حرصي على البدء المبكر، أحرص على أن تكون البداية قوية؛ حتى نستطيع الاستمرار ونكون بمستوى الطموح.

المقدمة: الدكتور الهاشمي اجتمع مع الاتفاق الرباعي، وأصدروا ما سمّي بيان القمة الخماسية .. هل تؤيدون ما ورد في هذا البيان؟

الجعفري: أنا أنتمي إلى الشعب العراقي الذي أعرفه بكل عراقي كما قاله الدستور وُلد في العراق أو من أب أو من أبوين عراقيين حتى إذا كان يعيش في الخارج؛ لذلك أعتبر الشعب العراقي أوسع مدى من الأرض العراقية، فليس كل عراقي في العراق، ولا كل من في العراق عراقي. الشيء الذي سمعته من الأستاذ طارق الهاشمي هو أنه ليس مع مسألة الاختزال والرباعية، وبالنسبة لي في الرباعية لديّ وجهة نظر، وأنا لست مع الرباعية لأنني أعتقد أنها لا تنفعنا، ولا تقوّي الحكومة.

المقدمة: هل يمكن بعد أن يعود وزراء التوافق عن استقالتهم إذا قبلت مطالبهم وتحديداً إذا قبل عدم استهداف السنة العرب كما يقولون في بياناتهم المتكررة؟

الجعفري: هذا الطموح الذي يحدوني من زمن بعيد وهو أن أجد الفرقاء السياسيين العراقيين في الحكومة والبرلمان وبقية الأطر الأخرى، وأتمنى وأسعى حثيثاً لأن تتضافر كل جهودهم؛ ليكونوا موجودين حتى يحس المواطن العراقي عندما ينظر يجد المجتمعية العراقية كلها في البرلمان والسلطة التنفيذية، وأعتبر استيعاب كل الشرائح العراقية تطبيقاً عملياً للديمقراطية.

المقدمة: تزورون الآن طهران ما هو هدف زيارتكم، وكيف تنظرون إلى الاتهامات الأميركية التي تقول إن طهران تسهم في تهديد الأمن الداخلي للبلاد؟

الجعفري: زيارتي لطهران جزء من مبدأ عام أطبقه في العلاقات السياسية على الصعيد الوطني - الإقليمي، وإيران جزء من حوض الدول الإقليمية التي أزورها كما أزور الكويت وسوريا وتركيا وأي دولة توجه لي دعوة أذهب إليها.

المقدمة: كيف يمكننا خصوصاً وأنتم كمسؤولين أن تمنعوا دول الجوار من التأثير السلبي على الداخل العراقي، ونرى كيف تركيا مثلاً تحشد الجيوش، وهناك اتهامات كثيرة لدول الجوار بالنسبة للوضع الأمني في العراق؟

الجعفري: أما عن مسألة العلاقة بين الولايات المتحدة وبين إيران أتصور أن العلاقة ثلاثية القطب هناك العراق وهو القطب الوطني وهناك قطب إقليمي وهناك قطب دولي، العلاقة بيننا وبين إيران جزء من علاقتنا مع الوضع الإقليمي كما هي مع تركيا والكويت والسعودية وسوريا والأردن ودول ما بعد الحوض الإقليمي، وما بعد الجوار الجغرافي نتعامل مع كل هؤلاء، هذه بعيدة عن القطب الثالث وهو القطب الدولي، ولدينا علاقة أيضاً مع القطب الدولي التي هي الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وأستراليا وكثير من الدول، ونحن نتعامل معها، وهناك علاقة ثالثة بين الوضع الدولي والوضع الإقليمي إن كانت هناك فرصة بأن نعمل على تعميق هذه العلاقة وإيجاد مناخات مناسبة وطيبة بينها لا نألو جهداً؛ لأننا نعتقد أنها تؤثر وتتأثر بالوضع العراقي، و لا نريد أن من أزمات هذه الدول أن تنشر بظلالها، وتعطي انعكاسات على الوضع العراقي، فنحن على استعداد للعمل على ترطيب الأجواء بين هذه الدول من دون أن يكون لها تأثير سلبي على بلدنا، أما ما يتعلق بتركيا وهو تحسين العلاقات: بصورة عامة العلاقات مع هذه الدول يجب أن تكون على مبدئين المبدأ الأول هو المصالح المشتركة واحترام السيادة، ومبدأ المصالح المشتركة.. دول الجوار حقائق جغرافية لا نستطيع تبديلها لأنها لم تأت بقرار سياسي من هنا لابد أن نراعي مبدأ المصالح المشتركة بيننا وبينها؛ فلا نتسبب بإزعاج هذه الدولة من خلال إيواء بؤر معينة تلحق الضرر بها، وبذلك قد تنسحب وتبادلنا بالمثل، فلا بد لنا أن نعمل على عدم جعل العراق بؤرة إزعاج لأحد حتى نمنع عليه أن يكون بؤرة إزعاج لنا.

في تقديري أن المشاكل الموجودة الآن مع دول الجوار قابلة للحل وتحتاج إلى تجلية الرؤية السياسية بنظرية العلاقات معها، وتحتاج إلى مبادرات، ومكاشفة صريحة على ملفات العلاقة بيننا وبين هذه الدول.

المقدمة: لا بد لي من سؤال أخير وهو أنكم رفضتم القول إننا في حرب أهلية في العراق، كيف تصفون الحالة الآن، ما هي؟

الجعفري: لا بأس أن نذكر لماذا أقول لا توجد حرب أهلية في العراق، بل أزعم أنه لا توجد حرب طائفية أيضاً، والتي هي أقل ضيقاً من الحرب الأهلية، الحرب الأهلية تعني أن تتقاتل المجتمعات مع بعضها، مجتمعية مدينة تقاتل مجتمعية مدينة أخرى، بل في داخل المدينة الواحدة مجتمعية هذه المنطقة تقاتل مجتمعية أخرى، على سبيل المثال: الحرب الأهلية التي حصلت في الولايات المتحدة بين 1861 إلى 1865 بين الشمال والجنوب الأميركيين، وراح ضحيتها 600 ألف مواطن أميركي.

أنا لا أعتقد بوجود حرب أهلية في العراق، بل لا توجد حرب طائفية.. دعنا نسمي الأشياء بأسمائها فالحرب الطائفية التي هي أضيق قليلاً من الحرب الأهلية، تعني أن أبناء السنة يحاربون أبناء الشيعة، فكل سني يشعر أنه ينظر إلى الشيعي أنه عدو، وكل شيعي ينظر إلى أي سني أنه عدو، هذا لم يحصل في العراق، نعم هناك رموز وشخصيات وفي أقصى الحالات مجاميع معينة استعرت فيها النعرة الطائفية السيئة لسبب أو آخر.

ظلت صخرة التعامل الاجتماعي بين السنة والشيعة تأبى إلا أن تخنق هؤلاء وخنقتهم، وأقول بكل صراحة إن الذين خرجوا من منطقة ذات الغالبية من المذهب الآخر، واضرب مثل، هُجّر سنة معينون من منطقة غالبيتها شيعة، بكى الشيعة على هؤلاء، وعندما هُجّر بعض الشيعة من منطقة تسكنها غالبية سنية بكى أبناء السنة عليهم، فإذن لم يستطع الإرهاب والطائفون أن يحولوا النعرة إلى حالة مجتمعية اختنقت في مجموعة قليلة؛ لذلك عندما أقول لا توجد حرب طائفية، ولا توجد حرب أهلية لست مغالياً، نعم هناك حرب طائفيين بين مجموعة من السنة يقتتلون مع أبناء الشيعة، ويحاولون أن يلحقوا الأذى بهم، ولناخذ بنظر الاعتبار أن لدينا 26.8% من حالات المصاهرة (الزواج بين السنة والشيعة)، هذا يعني أن لدينا جيلاً يربو على أكثر من ربع العراق، من أعمام من مذهب وأحوال من مذهب آخر، أعتقد أن هذا شيء غير صحيح، وعلى العالم أن يتعلم من العراقيين كيفية التماسك والأخوة بين أبناء المذاهب على الرغم من كل التحديات التي واجهتها هذه الوحدة.